

بين فن التاريخ وفن الحرب

## ٥ - خالد بن الوليد \*

## في حروب الردة

للفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدئ  
شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشي  
كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »  
قاله به الوليد

ويختلف الرواة في الحركة التي جرت ، فالأخبار التي يستند  
إليها الواقدي والبلاذري لا تبحث في غارة المرتدين على المدينة ،  
ولا تذكر موقع ذي حسي ، وتذكر أن أبا بكر لما علم أن القبائل  
اجتمعت في ذي القصة بقصد الفارة قرر أن يقاثلها في عقر دارها  
غير مبال بقلة عدده ، وقصد من ذلك إرهاب المرتدين والقاء  
الرب في قلوب العرب ، وجعلهم يعتقدون أن المسلمين أقوياء  
وأن ذهاب جيش أسامة لم يقلل من قوتهم ، فتقدم أبو بكر على  
رأس المقدمة الراكبة نحو ذي القصة يعقبه الكوكب (القسم  
الأكبر)

وبالنظر إلى رواية سيف أن الجمال بعد أن نفرت براكيها ،  
ودخلت المدينة بات أبو بكر ليلته يتهباً للهجوم ، فبعد أن رتب قوته  
خرج مبكراً من المدينة وبأغت عدوه فهزمه شر هزيمة . والذي  
يلوح لنا أن الروايات الأولى هي الأصح . وكانت قوة المقدمة تبلغ  
مائة رجل ، وسارت يومها وعسكرت مساء بالقرب من أجرة ، فباغتها  
المدو من مكنته وأجأها إلى الفرار ، فاحتس أبو بكر بالأجرة منتظراً  
ورود الكوكب (القسم الأكبر) ولما نادى أحد المسلمين  
بوروده انهزم المرتدون ، فطاردهم المسلمون إلى ثنايا العوسجة ثم  
قتلوا راجعين إلى ذي القصة

ويذكر الواقدي أن أبا بكر لم يخرج إلى ذي القصة إلا بعد

(\*) وهو بحث في قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل .  
« الرسالة »

عودة جيش أسامة إلى المدينة ، غير أننا لا نعيل إلى رأيه ، لأن مجرى  
الأخبار يدل على أن مرة المسلمين كانت ضئيفة لما خرجت من  
المدينة قاصدة العدو . ويذكر سيف أن بني ذبيان وعيس بعد هزيمتهم  
هذه وثبوا على من فيهم من المسلمين فقتلوا ، وحلف أبو بكر  
ليقتل من المشركين في كل قبيلة . وليقتل من كل قبيلة بمن قتلوا  
من المسلمين . وكانت وقعة ذي القصة والبقاء أول نصر للمسلمين  
على المرتدين ، ومنها تظهر فراسة أبي بكر وصلابة عوده

لابد أن القاري اتقنه إلى فساد خطة القبائل في محاربتهم  
غزو المدينة ، إذ بدلاً من أن يجتمعوا في محل واحد للهجوم على  
المدينة أو أن يقاوموا جيش المسلمين مما اجتمعت كل قبيلة  
في حياها ، فاجتمع بنو أسد في السمراء ، وفزارة في طيبة ، وجديلة  
وغوث من طي في جيلهما ، وذيان وعيس اجتمعت فرقة منهما  
بالقرب من اربذة والأخرى في ذي القصة أو البقاء

والداعي إلى تفرقهم على ما يظهر أن المياه في كل محل من تلك  
المحلات لم تكن كافية لأرواء جماعة كبيرة ، وكان الكلاء قليلاً  
فضلاً عن صعوبة اجتماع كلمة القبائل على غاية واحدة

وكان قبل ذلك حلف بين بني أسد وغطفان وطي ، بيد أن  
قتالاً وقع بين غطفان وبني أسد من جهة وطي من جهة أخرى  
فأمست القبائل متخاصمة . وكذلك كلمة طي لم تكن مجتمعة  
فقال إلى المرتدين فرقان منها فقط ، وهما جديلة وغوث . أما  
الفرق الأخرى فبقيت على إسلامها . وكانت القبائل في قيامها على  
المدينة يراقب بعضها بعضاً ، ولا تريد أن تكون البادئة بالمداء ،  
ذلك ما جعل كلا منها يتي في حيه ويراقب عمل الآخر

وقد اختبر الصديق حالة القبائل وتأكّد أن كلمتها لم تجتمع ،  
لذلك لم يشأ أن يؤخر جيش أسامة عن سفره ، واكتفى برجال  
المدينة والموالين من القبائل القريبة منها وقد أيدت الوقائع رأيه .  
وبعد انتصار أبي بكر على القبائل في البقاء قتل راجعاً إلى المدينة ،  
ولما شاع خبر انتصار المسلمين على أهل الردة في أول قتالهم أخذت  
الصدقات تأتي من الأطراف بعد أن تردد أهلها في إرسالها ، فوردت  
صدقات عدى بن حاتم من طي وصدقات أخرى

وبعد مدة قصيرة عاد جيش أسامة من الشمال ، فقوت به أعين  
المسلمين فلم يجهل أبو بكر المرتدين بعد أن بلغه أن بني عيس وذيان

فتقسيم هذه القوات جميعاً الى أحد عشر قسماً مما يجعل كلا منها ضعيفاً بحيث لا يستطيع القيام بالواجب المنوط به . بينما الأخبار تؤيد أن جيش خالد بن الوليد وحده كان يبلغ أربعة آلاف رجل ، ثم إن هناك أخباراً تؤيد حيوط هجوم فرقة عكرمة بن أبي جهل ، وكذلك هجوم فرقة شرحبيل بن حسنة على قوات مسيلمة وانحسبهما الى الورا والتحاقها بفرقة خالد بن الوليد مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد أن أبا بكر فكر قبل كل شيء في القضاء على حركة الردة في وسط جزيرة العرب ، وجمع لذلك ما في يده من القوات المتيسرة وناط قيادتها بخالد

#### قوة الجيش :

إن الرواية على عهدنا بهم لم يروا لنا مقدار قوة المسلمين التي احتشدت بقيادة خالد بن الوليد في ذي القصة . والمصدر الوحيد الذي يذكر لنا قوة خالد هو أبو حبيش ، إذ يروي لنا أنها كانت تبلغ أربعة آلاف مقاتل قبل حركته الى بزاخة

وكان الجيش على ماسبق يانه مؤلفاً من القوة التي جمعها أبو بكر من القبائل المجاورة للمدينة على جناح السرعة للهجوم على المرتدين في ذي القصة بمد تهديدهم للمدينة ، ومن القسم الذي التحق به من جيش أسامة بمد عودته الى المدينة قبل الهجوم على الأبرق . ومن الواضح أن البعض منه تخلف عن الالتحاق ليفضي مدة من الزمن بين أهله بمد أن غاب عنهم مدة شهرين في سفره الى الشمال

والذي يظهر من رواية سيف أن أبا بكر لما عاد الى المدينة أرسل هذا القسم المتخلف أيضاً الى ذي القصة ، وبعد التحاقه أصبح جيش خالد أربعة آلاف أو أكثر . وكانت قوة الانصار وحوال تبلغ زهاء خمسمائة مقاتل . أجل ، إن هذا العدد ضعيف بالنظر الى المهمة الخطيرة المنوطة به ، إلا أن تجانس القوة في هذا الجيش وصلابة المعتقد فيه ، وتفرق كلمة القبائل المرتدة جعلته أهلاً للعمل

#### منطقة الحركات :

يحد المنطقة التي جرت فيها الحركات من الشرق ، الدهناء ، وهي الساحة الرملية الممتدة من الشمال الغربي الى الشرق الجنوبي في شرقي القصيم . وكانت الدهناء ولا تزال المفازة التي تفصل

أوقعت عن فيها من المسلمين ومثلت بهم ، وبعد وقعة ذي القصة أراد أن يغني عن في الأبرق فأراح جيش أسامة بعدة أيام وخرج بالقوة التي سار بها الى ذي القصة بمد أن أمجدها بالناس من جيش أسامة وتوجه نحو الأبرق ، وفيه الفرقة الثانية من بني عبس وذيان وبني كلاب وغيرهم

وقد ناشده كبار الصحابة بالآ يمرض نفسه للخطر بقيادة الجيش بنفسه إلا أنه لم يجب طلبهم . فمد أن عباً جيشه باغت المرتدين في الأبرق فهزيمهم شر هزيمة وانسجبت فلولهم الى السمراء والتحقت ببني أسد ، ولما رأى طليحة الخطر انسحب بجميع القوات التي التفت حوله الى بزاخة

وأقام أبو بكر في الأبرق وكان يملكه بنو ذيان ، فأعطى سراعيهم نخيل المسلمين وحرم بطون ذيان منها

#### تولية خالد به الوليد قيادة الجيش :

تدل الأخبار على أن خالداً اشترك في قتال ذي القصة والأبرق مع المهاجرين ، ولما رجع أبو بكر الى المدينة انسجبت قوة المسلمين الى ذي القصة ، وتولى قيادتها خالد بن الوليد وتذكر الروايات التي تبدأ بسيف بن عمر أن أبا بكر لما وصل الى المدينة جمع رجالاً من القبائل المجاورة للمدينة وأرسلها الى ذي القصة لتقوية جيش المسلمين . ثم عاد الى ذي القصة فاستعرض الجيش وقسمه الى إحدى عشرة فرقة ، وعين قائداً لكل منها فوجهها الى مناطق المرتدين في جزيرة العرب لقتالهم والقضاء على حركة الردة

وهذه الرواية التي يروها سيف يصعب تصديقها وذلك :

أولاً - لأن قوة المسلمين لم تكن في عدد يكفي لتقسيمها الى إحدى عشرة فرقة

ثانياً - إن أيفاد فرق البحرين وعمان ومهرة وحضرموت واليمن قبل قمع الفتنة في قاب جزيرة العرب مسألة فيها نظر .

ويعر طريق البحرين وعمان ومهرة ييلاد بني حنيفة ، وفيها مسيلة نائر ، وهو متعصم في بلاده الوعرة . والحقيقة أن قوة جيش المسلمين لم تجاوز بنمعة آلاف على ما ذكرناه في بحث تقدير قوة الفريقين . فليس أسامة لم يجاوز ستة آلاف ، أما القوة التي جهزها لمقاتلة من اجتمع في ذي القصة فلم تتجاوز الألفين .

ويصب في الكهفة . وبالقرب منه تقع بزاحة بني أسد . وهي  
الوَقْع الذي نشبت فيه المعركة بين جيش خالد وجيش طليحة .  
والذي جعلنا نميل الى الاعتقاد بأن موقع بزاحة في هذا  
المحل هو ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه نقلاً عن ابن الكلبي .  
أما الأصمعي فيروى أن بزاحة ماء لطي . وفي جبل طي موقع  
آخر يسمى بزاحة . وعلى ما يظهر لنا من مجرى الحركات أن  
القتال بين المسلمين وبين المرتدين لم يقع في أرض طي ، بل وقع  
في أرض بني أسد بالقرب من النمر ، ولا سيما أن خالدًا بعد  
انتصاره على طليحة وجه سراياه في جهات مختلفة مطارداً قلوب  
النهزمين . وهذه السرايا قاتلت النهزمين في جبل رمان وفي  
الأبانيين . ولا يعقل أن المعركة نشبت في بزاحة طي والطاردون  
يطاردون النهزمين الى رمان والأبانيين ، بل من المعقول أن تنشب  
المعركة في جوار النمر فيشرد النهزمون الى أنحاء مختلفة ، فينهزم  
بنو فزارة الى حيهم في جنوبي الرمان وغربيه ، وبنو أسد الى  
الأبانيين وإلى ظفر في جوار كهفة وإلى النقرة — أعني الى  
حدود الحلي

وفي متعنى الشرق بلاد بني تميم والقصيم على الحدود بين  
بني أسد وبني تميم . وهي من أعنى البقاع الواقعة في نجد ، وتحدها  
رمان الدهناء من الشرق ، وفي غربيها سراعي الحزن ، وفي شرقيها  
سراعي الصَّمان ، وكلتا البقعتين من أخصب الرامح وهما لبني تميم .  
وبنو يربوع في الحزن الى وادي حائل ، والصمان الى بني حنظلة ،  
وماد الطريفة في شمالي البريدة لهم أيضاً . والبطاح في جنوبي  
الحزن وفيه قرية بريدة وموقع البعوضة والقمرة ، وهو مشهور  
بجودة الكلاب . وفيه دارت الدائرة على مالك بن نوبة رئيس  
بني يربوع

ولازال إحدى ضواحي البريدة تسمى بالبطاح ، والقصة  
تتألف من أربع ضواح ، وهي جردة وجديدة وشمال وبتاح .

وموقع النجاج في حي بني تميم وهو المحل الذي وصلت اليه  
سجاح بريالها ققاتلها بنو تميم وكسروها ، وهو واقع في الحزن  
على طريق الكوفة بعد الفيد

طه الرهاشمي

تبع

أرض السواد ( أعنى العراق ) عن بلاد نجد . ويحدها من الشمال  
جبل شمر أعنى ملاذ طي المرتفعة التي تمتد جيالها على ما سبق من  
الشمال الشرق الى الجنوب الغربي ، وأخطرها جيلا سلمى في  
الجنوب وأجأ في الشمال ، وفيها وديان كثيرة أجلها شأنًا وادي  
حائل ، وهو يبدأ من بزاحة طي بشعاب متعددة ، ويفصل الجبلين  
أحدهما عن الآخر حيث تنصب فيه عدة شعاب من الشمال  
والجنوب وتغمره بالياه في موسم الأمطار . وقد شيدت على جانبيه  
القرى التي تروى بمياه الآبار المنصرفة اليها من الجبال . ولما كان  
جبل سلمى وجبل رمان يشرفان على وادي الرمة من الجهة الشمالية ،  
فالشعاب التي تمر بالأطناف الجنوبية تنحدر جميعاً الى ذلك الوادي .  
وهذه الأطناف هي الحدود الفاصلة بين حي بني أسد وحي فزارة  
من بني غطفان ، وقرية فيد وطابة لبني طي وهما على الحدود

ويحد منطقة الحركات من الغرب حرة خبير ، ومن الجنوب  
الهضبة المشرفة على وادي الرمة من الجنوب ، وفيها بنو سليم  
في الشمال وبنو عامر في الجنوب . وموقعا العمق في الغرب وراية  
أبان الأبيض في الشرق في أرض بني سليم

والوادي أرض منخفضة بين هضبتين مرتفعتين تنصرف اليه  
جميع الياه التي تنزل عليهما في موسم الأمطار . وإذا حفرنا الآبار  
في بطنه على عمق بضعة أقدام نثر فيها على ماء كثير . والطريق  
التي تصل المدينة ببلاد القصيم تمر بهذا الوادي . وبعد أن يترك  
المدينة يمر بالبعقاء أو ذى القصة بالقرب من ساية ، ثم بالشقرة  
فالريذة بالقرب من الحسائية فالشقق قبر الطرفة ، فالى جنوب  
أكمة الخيمة حيث يدخل أرض بني أسد ، ويمر بعد ذلك بين  
الأبانيين : أبانت الأسود في الشمال ، وأبان الأبيض في الجنوب .  
والأسود في أرض بني أسد الى أن يمر بشمال الرس وهو برماء لبني  
أسد ، فيصل الى القريتين في بلاد قصيم ، أعنى النيزة في الجنوب  
وبريدة في الشمال وكلتاها في حي بني تميم

ويسكن بنو أسد في الساحة الواسعة التي شمال الوادي من  
جنوبي فيد وأطابة غربي السميراء والظهران والسليفة .

وفي غربي النقرتين نقرة السلاسل ونقرة الخطوط وجبل  
صارة . وفي أرض بني أسد يقع موقع النمر وهو راية مرتفعة  
تشرف على وادي النمر الذي ينبع من سفح جبل الموشم الشمالي